

# يا طالب العلم اتخذ نعلين من حديد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فإننا إذا تصفحنا الفضائل لنعرف منازلها في الشرف، ونتبين مواقعها من العظم، ونعلم أي حق منها بالتقديم، وأسبق في استيجاب التعظيم، وجدنا العلم أولها بذلك، وأولها هنالك، إذ لا شرف إلا وهو السبيل إليه، ولا خير إلا وهو الدليل عليه، ولا منقبة إلا وهو ذروتها وسنامها، ولا مفخرة إلا وبه صحتها وتمامها، ولا حسنة إلا وهو مفتاحها، ولا محمودة إلا ومنه يُتقد مصباحها، هو الوفي إذا خان كل صاحب، والثقة إذا لم يوثق بناصح، لولاه لما بان الإنسان من سائر الحيوان إلا بتخطيط صورته، وهيئة جسمه وبنيته، لا، ولا يُجد إلى اكتساب الفضل طريقاً، ولا يُجد بشيء من المحاسن خليقاً، ذاك وأنا وإن كنا لا نصل إلى اكتساب فضيلة إلا بالفعل، وكان لا يكون فعل إلا بالقدرة، فإننا لم نر فعلاً زان صاحبه وأوجب الفضل له، حتى يكون عن العلم صدره، وحتى يتبين منه ميسمه وأثره، ولم نر قدرة قط كسبت صاحبها مجداً وأفادته حمداً، دون أن يكون العلم رائدها فيما تطلب، وقائدها حيث يؤم ويذهب، ويكون المصرف لعنائها، والمقلب لها في ميدانها، فهي إذن مفتقرة إلى أن تكون فضيلة إليه، وعيال في استحقاق هذا الاسم عليه، وإذا هي خلت من العلم أو أبت أن تمتثل أمره، وتقتفي أثره ورسمه، آلت ولا شيء أحشد للدم على صاحبها منه، ولا شين أشين من أعماله لها. [دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني

ص 4-5 ]

ثم إن المتأمل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد أن سلعة الله غالبية ألا إن سلعة الله الجنة ولابد لطالها من بذل ثمنها في هذه الدار

واعمل لدار غدا رضوان خازنها:::والجار أحمد والرحمن ناشيها

قصورها ذهب والمسك طينتها:::والزعفران حشيش نابت فيها

ومن أعظم الطاعات وأزكى القربات بعد الفرائض الواجبات طلب العلم الشرعي من معينه الصافي؛ فهلم بنا نتجول في حدائق فضله وعلياء شرفه و نشنف الأسماع بعدوية همسه وحسن لحنه ونقر العين بهاء رسمه وجميل أثره ونروي الكبد بنماذج الرجال في الصبر على طلبه والبذل في سبيل نيله :

قال الله تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط" ( آل عمران :18)

قال ابن السعدي رحمه الله في تفسيره:

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلاً، ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تركيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه. وهذه الآية كتب فيها ابن القيم رحمه الله بحثاً حافلاً بين فيه دلالتها على فضل العلم من وجوه كثيرة جداً، تربوا على مائة وخمسين وجهاً، في كتابه القيم مفتاح دار السعادة ص 131 فليراجعه من أراد الاستزادة والاستفادة.

وقال جل وعلا" وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" ( طه:114)

قال البغوي رحمه الله في معالم التنزيل:

يعني بالقرآن ومعانيه . وقيل : علما إلى ما علمت؛ وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال : اللهم رب زدني علما وإيمانا ويقينا.

قال ابن عيينة ، رحمه الله : ولم يزل صلى الله عليه وسلم في زيادة [ من العلم ] حتى توفاه الله عز وجل .

قال ابن القيم رحمه الله: وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه.

ويقول الله جل وعلا "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" ( المجادلة:11)

قال القرطبي في هذه الآية: قال ابن عباس: خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه.

وقوله تعالى " إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر:28)

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله:

فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله، الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى: { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }.

و قوله تعالى " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحْبَبَ لَهُمْ قُلْ أَحَبُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَ

اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ " (المائدة: 4)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في (مفتاح دار السعادة) (1 / 55): " إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ صَيِّدَ الْكَلْبِ الْجَاهِلِ مَيْتَةً يَحْرُمُ أَكْلُهَا! وَ أَبَاحَ صَيِّدَ الْكَلْبِ الْمُعَلَّمِ، وَهَذَا مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ: أَنَّهُ لَا يُبَاخُ إِلَّا صَيِّدُ الْكَلْبِ الْعَالِمِ.

وروى علي بن حرب، وسمعت سفيان بن عيينة في قوله: [ والشهداء والصالحين ] [ النساء: 69 ] قال: الصالحون: هم أصحاب الحديث.

[ السير (8/469) ]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة والملائكة تضحُّ أجنتها رضا لطلب العلم وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيات في الماء وفصل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً وأورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"

قال أبو حاتم الرازي: سمعت ابن أبي أويس يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "تضع أجنتها" يعني: تبسطها

بالدعاء لطلب العلم، بدلا من الأيدي. [مفتاح دار السعادة ( 64/1) ]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بطلبة العلم كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوصينا بكم يعني طلبة الحديث. [السلسلة الصحيحة 280]

وأرعى أخي القارئ سمعتك وبصرك وقلبك ولبك لقرأ هذا الحديث العظيم الفائدة الجليل القدر؛ فعن صفوان بن عسال المرادي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُتَّكئ في المسجد على بُردٍ له فقلت له يا رسول الله إني جئت أطلب العلم فقال مرحباً بطلب العلم طالب العلم لتخفه الملائكة وتظله بأجنحتها ثم يركب بفضله بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من حُبهم لما يطلب. [السلسلة الصحيحة 3397]

وقال صلوات ربي وسلامه عليه: من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع. [ صحيح الترغيب والترهيب 88 ]

ومن أعظم أسباب رزق العبد طلب العلم الشرعي فقد كان أخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية يحضر حديث النبي صلى الله عليه وسلم ومجلسه والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله: إن هذا

أخي لا يعينني بشيء فقال صلى الله عليه وسلم: لعلك تزرق به. [السلسلة الصحيحة 2769]

روى الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال:

تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يحسنه صدقة، وبذله لأهله قربة، به يعرف الله ويعبد وبه يوحد، وبه يعرف الحلال من الحرام، وتوصل الأرحام، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء، والوزير عند الأخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وسادة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتض آثارهم، وترمق أفعالهم، وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها والعلم حياة القلوب من العمى ونور للأبصار من الظلم، وقوة للأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى التفكير فيه يعدل بالصيام،

ومدارسته بالقيام، وهو إمام للعمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء. [مفتاح دار السعادة ( 120/1) ]

وقال أبو الدرداء " مَنْ رَأَى الْغُدُوَّ وَالرَّوَّاحَ إِلَى الْعِلْمِ لَيْسَ بِجِهَادٍ فَقَدْ نَقَصَ عَقْلُهُ وَرَأْيُهُ [مفتاح دار السعادة ( 71/1) ]

وَجَاءَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مَاتَ وَهُوَ شَهِيدٌ. [مفتاح دار السعادة ( 71/1 )]

روي عن عبد الله بن مسعود: أنه كان يقول إذا رأى الشباب يطلبون العلم: مرحبا بينا بيع الحكمة ومصايح الظلم خلقتان الثياب جدد القلوب حبس البيوت ربحان كل قبيلة. [ جامع بيان العلم وفضله ( 256/1 ) ]

عن أبي العالية قال: كان ابن عباس يرفعي علي السريير، فتغامزت بي فريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم يزيد الشريف شرفا، ويجلس المملوك على الأسرة. [ السير ( 118/5 ) ]

قال ابن عيينة رحمه الله: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل. [ مفتاح دار السعادة ( 71/1 ) ]

وقال أيضا: ارفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الرُّسُلُ والعُلَمَاءُ. [ مفتاح دار السعادة ( 119/1 ) ]

قال سفیان الثوري: ما من عمل أفضل من طلب العلم، إذا صحت النية. [ مفتاح دار السعادة ( 178/1 ) ]

وقد صح عن الإمام الزهري - رحمه الله - أنه قال: مَا عَدِيَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْفَقْهِ. [ مفتاح دار السعادة ( 119/1 ) ]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيِّناً أهمية ومنزلة العلم كما في مدارجه ( 439\_2/440 ) :

"هو تركة الأنبياء ، وأهله عصبتهم ووراثتهم ، وهو حياة القلوب ، ونور البصائر ، وشفاء الصدور ، ورياض العقول ، ولذة الأرواح ، وأنس المستوحشين ، ودليل المتحيرين ، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال ، وهو الحكم المفرق بين الشك واليقين ، والغبي والرشاد ، والهدى والضلال . به يعرف الله ويعبد ، ويذكر ويوحّد ، ويحمد ويمجد ، وبه اهتدى إليه السالكون ، ومن طريقه وصل إليه الواصلون ، ومن بابه دخل عليه القاصدون . به تعرف الشرائع والأحكام ، ويتميّز الحلال من الحرام ، وبه توصل الأرحام ، وبه تعرف مرضي الحبيب ، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب . وهو إمام والعمل مأموم ، وهو قائد والعمل تابع ، وهو صاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والأنيس في الوحشة ، والكاشف عن الشبهة ، والغني لا فقر على من ظفر بكنزه ، والكنف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه." . اهـ

قال العلامة الوادعي رحمه الله: ما أحسن العلم ، أحسن من الذهب والورق، وأحسن من النساء الجميلات، و أحسن من المُلْك. [نبذة مختصرة ص 21]

وقال أيضا: "لو أعطيت مليوناً في كل شهر على أن أترك طلب العلم ما قبلت ، بل لو أعطيت ملئ هذا المسجد ذهباً لما قبلت"

وقال رحمة الله عليه: طالب علم عندي يساوي الدنيا. [ رحلات دعوية ص 111 ]

و هذا الإمام الربيع حفظه الله - يقول عن نفسه:

"وأنا الآن قديمي على عتبة القبر ، لا أريد من الدنيا شيئاً، ولا أريد مناصب، ولله الحمد قد رفضت كل هذه الأشياء في عنفوان شبائي، والله وأنا طالب علم كنت أقول في نفسي: لو أعطى منصب أعلى وزير فوالله لا أقدمه على طلب العلم. [كشف الستار (ص 104 )]

قال الشيخ العلامة الحافظ حافظ حكيمي رحمه الله:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً :: فقد ظفرت ورب اللوح والقلم  
وقدر العلم واعرف قدر حرمة: :: في العلم والأخلاق والآداب والقيم  
واجهد بعزم قوي لانشاء له: :: لو يعلم المرء قدر العلم لم ينم

ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

يا لهف قلبي على شيئين لو جمعاً:::عندي لكنت إذا من أسعد البشر  
كفاف عيش يقيني شر مسألة:::وخدمة العلم حتى ينقضي عمري  
وقال أيضا ونُسبت كذلك للزمخشري المعتزلي:  
سهري لتتقيح العلوم ألد لي:::من وصل غانية وطول عناق  
وتمايلي طربا لحل عويصة:::أحلى وأشهى من مدامة ساقى  
وصرير أقلامي على أوراقها:::أحلى من الدوكاة والعشاق  
وألد من نقر الفتاة لدفها:::نقري لألقي الرمل عن أوراقى  
أبيت سهران الدجى وتبيته:::نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

فإذا تقرر فضل طلب العلم وتحصيله كان لزاما على طالبه التضحية وبذل الغالي والنفيس في سبيله، ومما ورد في تقرير هذا المعنى وتأسيس هذا المنبى ما جاء عن علي رضي الله عنه أنه قال : قرنت الهيبة بالخيبة: أي من هاب الأخطار خاب عن بلوغ المعالي. . [ كتاب الأمثال لأبي الخير الهاشمي]

وقال ابن القيم رحمه الله: إن المصالح والخيرات لا تنال إلا بحظ من المشقة ولا يعبر إليها إلا على جسر من التعب وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من أثر الراحة فاتته الراحة وبحسب ركوب الأهوال تكون الفرحة واللذة. [ مفتاح دار السعادة ( 2 /15)]  
وقال أيضا -رحمه الله:- لا يُنال العلم إلا بهجر اللذات وتطبيق الراحة. " [مفتاح دارالسعادة1/142].

والحكمة الغابرة تقول: من خاف صعود الجبال عاش طول دهره بين الحفر.

و من نوايغ الحكم ومحاسن الكلم قولهم: لا تفوح رائحة الكعك الزكية إلا حين تمسها حرارة الفرن كذلك أحلامنا لن تنضج ما لم تسمها قسوة التجارب.  
قال أبوتمام مخاطبا نفسه:

ذريني أنال ما لا يُنال من العلى::: فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل  
تريدين إدراك المعالي رخيصة:::ولا بد دون الشهد من إتر النحل

و قال الشاعر رحمه الله:

لولا اضطرام النار في جوف الثرى::: ما كان يعرف طيب عرف العود  
وقال غيره:

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله\*\*\* لن تبلغ المجد حتى تلغق الصبرا

قال ابن القيم رحمه الله: يا مخنت العزم ابن انت والطريق طريق تعب فيه آدم وناح لاجله نوح ورمى في النار الخليل واضجع للذبح اسماعيل وبيع يوسف بشمن بخس ولبت في السجن بضع سنين ونشر بالمنشار زكريا وذبح السيد الحصور يحيى وقاسى الضر أيوب وزاد على المقدار بكاء داود وسار مع الوحش عيسى وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ترها انت باللهو واللعب.

فيا دارها بالحزن ان مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

الحرب قائمة وانت اعزل في النظارة فان حركت ركابك فللهزيمة من لم يباشر حر الهجير في طلاب المجد لم يقل في ظلال الشرف. [الفوائد 42/1]

وهذه بعض النماذج من سير من سبقنا في حمل الأثقال وركوب الأهوال في سبيل طلب العلم ونشره وتحصيله :

وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الصَّبَّيُّ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ اتَّخِذْ نَعْلَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَعَصَاً مِنْ حَدِيدٍ ثُمَّ  
اطْلُبِ الْعِلْمَ وَالْعَبْرَ حَتَّى يَخْتَرِقَ نَعْلَاكَ، أَوْ يَخْلُقَ نَعْلَاكَ وَتَنْكَسِرَ عَصَاكَ». [جامع بيان العلم وفضله ص:399]

قال أبو هريرة -رضي الله عنه:-لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم وبين حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها؛ فيقول الناس إنه مجنون وما بي جنون ما بي إلا الجوع. [حلية الأولياء ص379/1]

قال سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه:-لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم وما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى يضع أحدنا كما تضع الشاة.

## [حلية الأولياء (92/1)]

قال ابن عباس رضي الله عنه : إنه ليبلغني الحديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فآتي إليه في بيته في القائلة فأجده قد نام، فأكره أن أوقظه فأتوسد ردائي عند بابه فتهب الرياح فتسفي عليّ من التراب، فإذا خرج الرجل إلى الصلاة:  
قال: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم! ما الذي أتى بك؟ لو أخبرتني لأتيتك، فأقول له: لا أنت أحق أن يؤتى إليه!  
وإنه بلغني أن عندك حديث كذا فأحب أن أسمع منك .

وقال شعبة في حديث تعب في الرحلة من أجل أن يتحصل عليه، وانتهى به الأمر إلى أن الحديث من طريق شهر بن حوشب، فقال: أفسده علي شهر، ولو صح هذا لكان أحب إلي من أهلي ومالي وولدي والناس أجمعين. [المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح للعلامة الوادعي رحمه الله ص 174]

قال عكرمة -رحمه الله:- كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل -القيد-، ويعلمني القرآن والسنة. [الطبقات الكبرى (287/5)]

عن سعيد بن جبير قال: ربما أتيت ابن عباس فكتبت في صحيفتي حتى أمأها، وكتبت في نعلي حتى أمأها، وكتبت في كفي. [السير 195/5]

روى محمد بن قدامة ، قال: سمعتُ شجاع بن مَخْلَد ، قال : سمعتُ أبا يوسف يقول: مات ابنُ لي، فلم أخضِرْ جهازَهُ ولا دفنه وتركتهُ على جيرانِي وأقربائي ، مخافة أن يفوتني من أبي حنيفة شيءٌ لا تذهبُ حسرتُهُ عنِي. [مناقب أبي حنيفة للإمام الموفق المكي (472/1)]

قال ابن القاسم -رحمه الله:- أفضى بمالك بن أنس رحمه الله طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه. [ترتيب المدارك للقاضي عياض 1/31]

و دخل هشام بن عمار على مالك بن أنس فقال حدثني وكان من عادة مالك أن يقرأ عليه الطالب ومالك يسمع فقال له مالك: اقرأ فقال لا اقرأ أنت عليه فأعاد عليه مالك فأصر فأمر مالك بضربه فرب خمسة عشر سوطا فقال له هشام ضربتني بغير حق قال له مالك وما يرضيك لتعفو عني قال له تحدثني خمسة عشر أحاديث فلما حدثه مالك قال له هشام زدني في الضرب وزدني في الحديث.

قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك بن أنس وهو يحدثنا فجاء عقرب فلدغته ست عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويتصبر ولا يقطع حديث رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك عجباً قال نعم أنا صيرت إجلالا لحديث رسول الله ( صلى الله عليه وسلم). [تاريخ دمشق (36/313)]

قال الإمام مالك -رحمه الله:- ربما كانت المسألة، أو نزلت المسألة، فلعلي أسهر فيها عامة ليلي. [الآداب الشرعية ج 2 ص 71]

قال مالك كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي يوماً علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي ألهتك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين. [ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض 31/1]

وقال ابن أبي حاتم: سمعت المزني يقول: قيل للشافعي: كيف شهوتك في العلم؟ قال: أسمع بالحرف -يعني الكلمة- مما لم أسمع فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم بما تنعمت به الأذنان. وقيل له: كيف حرصك على العلم؟! قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال. فقيل له: فكيف طلبك له؟! قال الشافعي: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.

وعن الحُمَيْدِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ عِينَةَ يَقُولُ: لَا تَدْخُلُ هَذِهِ الْمَحَابِرُ بَيْتَ رَجُلٍ، إِلَّا أَشَقَى أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ.  
وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً لِرَجُلٍ: مَا حِرْفَتُكَ؟ قَالَ: طَلَبُ الْحَدِيثِ. قَالَ: بَشِّرْ أَهْلَكَ بِالْإِفْلَاسِ. [السير 418/7]

قال جعفر بن درستويه -رحمه الله:- وكنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر اليوم لمجلس غد فنقعد طول الليل مخافة أن يؤخذ مكانه إن قام للبول أن لا يلحق من الغد موضعاً يسمع فيه ورأيت شيخاً في المجلس يبول في طيلسانه \* ويدرج الطيلسان حتى فرغ مخافة أن يؤخذ مكانه إن قام للبول.

الطيلسان : ثوب يحيط بالبدن ينسج ليلبس ، خال من التفصيل والخياطة. [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 138/2]

قال ابن كثير -رحمه الله:-وقد كان البخاري يستيقظ في الليلة الواحدة من نومه ، فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ، ثم يطفى سراجَه ، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى ، حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة. [البداية والنهاية (31/11)]

قال عمر بن حفص الأشقر -رحمه الله:- كنا مع البخاري بالبصرة نكتب، ففقدناه أياما، ثم وجدناه في بيت وهو عُزَيان، وقد نفذ ما عنده، فجمعنا له الدراهم، وكسوناه. [سير أعلام النبلاء (448/12)]

قال الحافظ عبد الرحمن بن يوسف بن خراش -رحمه الله:- شربت بولي في هذا الشأن - يعني الحديث - خَمَسَ مَرَاتٍ!. قلت - أي الخطيب البغدادي: أَحْسَبُهُ فَعَلَ ذَلِكَ فِي السَّفَرِ اضْطِرَّارًا ؛ عند عدم الماء - والله أعلم. [ تاريخ بغداد (280/10)]

رحل الإمام "أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن منده" رحمه الله تعالى ، لطلب العلم وعمره عشرون سنة ، ولم يرجع إلى بلده الأصلي إلا وعمره خمسة وستون عامًا!! وكانت مدة رحلته خمسا وأربعين سنة!! اسمع فيها العلم وتلقاه عن ألفٍ وسبعمئة شيخ!!

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ( الفرسخ يزيد على خمسة كيلو مترات). ، ولم أزل أحصي حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته. [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (359/1)]

قال محمد بن طاهر المقدسي: بليت الدم في طلب الحديث مرتين: مرة ببغداد، ومرة بمكة، وذلك اني كنت امشي حافيا في حر الهواجر بهما فلحقتني ذلك!وما ركبت دابة قط في طلب الحديث الا مرة، وكنت احمل كتيبي على ظهري، الي ان استوطنت البلاد، وما سألت في حال طليي احدا. [سير أعلام النبلاء (363/19)]

قال محمد بن إسماعيل الصانغ -رحمه الله:- كنت في إحدى سفراتي ببغداد ، فمر بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ، ونعلاه في يده ، فأخذ أبي هكذا بمجامع ثوبه ، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تستحي؟ إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان؟ قال: إلى الموت. [مناقب الإمام أحمد (ص 32)]

وفي فتنه خلق القرآن قال جلال الامام أحمد والله اني لضربته ضربا لو ضرب به جمل لاندك ولما جاء طلبة العلم الي السجن أخرجوا الامام أحمد الي الشرفة ووضعوا في ظهره سكيئا ينخرونه به وطلبة العلم بالقلم والكاغد ينتظرون من أحمد أن يقول القرآن مخلوق ليكتبوها والجلادون بالسكين في ظهره ويقولون له قل القرآن مخلوق فقال كلمته الشهيرة: أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء.

قال أحمد بن سعيد الرباطي رحمه الله: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أخذنا العلم بالذل، فلا ندفعه إلا بالذل. [السير (231/11)]  
وسافر بقي بن مخلد الي بغداد فاجتاز البحار وقطع الفيافي والقفار فلما دخل بغداد قيل له أن الخليفة منع الامام أحمد من التحديث فجاء الي الامام أحمد فقال له لو تقبل آتيك كل يوم في هيئة مسكين فقير فتحدثني فكان يأتيه ويقول الأجر ويقول الأجر رعاكم الله فيخرج له أحمد ويحدثه بالحديث والحديثين ثم ينصرف ولما فرج عن الامام أحمد كان اذا أتاه بقي بن مخلد قال لطلبته هذا يحق عليه اسم طالب علم.

قال سهل بن عبد الله التستري: ورأى أصحاب الحديث، فقال: اجهدوا أن لا تلقوا الله عز وجل إلا ومعكم المحابر. وسئل سهل : الي متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت، ويصب باقي حبره في قبره. [السير (330/13)]

قال الحافظ ابو إسحاق الحبال: كنت يوماً عند أبي نصر السجزي ،فدق الباب ، فقمتم ففتحته ، فدخلت امرأة وأخرجت كيساً فيه ألف دينار ، فوضعت بين يدي الشخص الشيخ وقالت: أنفقها كما ترى. قال ما المقصود؟ قالت: تتزوجني ، ولا حاجة لي في الزواج ولكن لأخدمك ، فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف. فلما انصرفت قال: خرجت من سجستان بنية طلب العلم ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم ، وما أوتر على ثواب طلب العلم شيئاً. [السير (655/17)]

وهذا محمد بن سلام البيكندي من شيوخ البخاري كان في حال الطلب جالسا في مجلس الاملاء والشيخ يحدث ويملي والطلاب يكتبون فانكسر قلمه فأمر مناديا أن ينادي : قلم بدنيار !!! دينار كان يشتري عذبة بحساب تلك الأيام يشتري ضيعة فتطارت اليه الأقلام؛ لا قيمة للمال إذا فات لفظ المحدث فلم تدركه لا قيمة للمال لأنهم كانوا يعرفون شرف الزمان وقدر العلم. [ من كلام الشيخ رسلان حفظه الله ]

وكان يقول رحمه الله: لم أجلس في سوق بيكند منذ أربعين سنة. [ السير (629/10) ]

قال خلف بن هشام -رحمه الله:- أشكل عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانين ألف درهم حتى حذفته. [ سير أعلام النبلاء (578/10) ]

سئل أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالأبيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه ، فأقسم أن يقيد رجله بقيد حديد ، ولا يزرعه حتى يحفظ (الغريب المصنف) ، فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال فارتاعت فقال :

ريعت عجوزي أن رأيتي لا يسا :::: خلق الحديد ومثل ذاك يروع

قالت جنت ؟ فقلت بل هي همة :::: هي عنصر العلياء والنبوغ

سن الفرزدق سنة فتيعتها :::: إني لما سن الكرام تبوع

[نفع الطيب للمقري 5/38]

قال ابن الجوزي رحمه الله ( تأملت عجا وهو أن كل شئ نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله فإن العلم لما كان أشرف الأشياء، لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة، حتى قال بعض الفقهاء " بقيت سنتين أشتهى الهريسة لا أقدر، لأن وقت بيعها وقت سماع الدرس "

[صيد الخاطر ص (281) ]

قال محمد بن الحسن رحمه الله: لا يُفلح في هذا الشأن - يعني العلم - إلا من أقرح البئر قلبه.

علّق الخطيب البغدادي رحمه الله فقال: ولن يصبر على الحال الصعبة إلا من آثر العلم على ما عداه ، ورضي به عوضاً من كل شيء سواه.

[ ( الجامع : ( 1 / 105 ) ]

قال ابن عثيمين رحمه الله: وهذا الإمام أحمد يجرب بالبغلة في السوق ويضرب بالسياط، وهو صابر ثابت. وهذا شيخ الإسلام يطاف به على العربية في السوق ويزج بالسجن وهو ثابت. ولا يمكن أن تفرش الأرض وروداً وزهوراً لإنسان متمسك بالسنة أبداً، فمن رام ذلك فقد رام المحال.

[ شرح النونية للعثيمين (3/ 270) ]

وأما مشايخنا المعاصرون فهذا العلامة مقبل الوادعي رحمه الله يقول وكنا في جامع الهادي نضع الخبز اليابس في الحائط فإذا وجدنا الطماطم ذهبنا الى الحائط ونزعنا الخبز وقد عشعشت عليه العنكبوت ثم نأتي الوادي نبلل الخبز بالماء ونأكل معه الطماطم.

وقد كان في دماج لما يرمي الخضار الطماطم الفاسدة يلتف حولها الطلبة ويأتي قطع الماعز لينافس الطلبة في الطماطم الفاسدة.

وقال عنه العلامة ابن باز رحمه الله: العجب من رجل يأوي الآلاف من الطلاب ثم يؤلف في ذم المسألة. [ درس الشيخ أحمد شمالان حفظه الله ]

ثم يقول تواضعا رحمه الله: لما رأيت أول شبيهة في لحيتي قلت لنفسي: يا مقبل ماذا قدمت للإسلام؟

وكان يقول: يا أباي، والله لو كان العلم يسقى في كأس لأسقيتكموه، ولكن لا يتحصل عليه إلا بكد وحك الركب. [ نبذة مختصرة ص 41. ]

وقال رحمة الله عليه: والواقع أننا لسنا في تطوّر وأنا في تدهور ، وياحِذا لو رجعنا إلى عصر الصحابة ذلك . مرحباً بالجوع ، و الله مرحباً بالجوع ، كسرة من الخبز تشرب عليها لبناً أو تمراتٍ تخرج وأنت عزيز . [ إجابة السائل على أهم المسائل ص 243 ]

وقال أيضا: لا بد أن تشعر ياطالب العلم أنك لست ملكا لنفسك بل ملك لطلب العلم ، ومسؤوليتك أكبر من مسؤولية وزير الداخلية ، وتحصل لطالب

العلم راحة وطمأنينة لا يتحصل عليها الملوك [ رحلات دعوية ص 111 ]

وقال مخاطبا الإخوة الوافدين على دماج لطلب العلم: لكن ينبغي أن تعلم ويعلم الإخوان القادمون حتى لا يصدمو أن طلبه العلم ربّما يصيرون على شيء من الشعث والعري والجوع وربّما يأكلون الأرز ناشفا والإفطار على فول ، والعشاء على فول ، نقول لكم هذا حتى لا تصدّموا ، لكن نحن لوقرأنا هذه الحالة ووجدنا حالة أبي زرعة الرازي وأبي حاتم الرازي وابن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي وحالة غيرهم من علمائنا لوجدناها حالة راقية ، لأن أولئك كانوا يصرعون من الجوع وكانت تقطع بأحدهم النفقة حتى يغشى عليه. [ رحلات دعوية ص 111 ]

وهذا الألباني رحمه الله بينما منهمكون بلا هواده في مشاريعنا الدنيوية؛ يعلن هو مشروعه الذي سماه : **تقريب السنة بين يدي الأمة** بهمة عالية وجهد قل نظيره حتى صار أعلم أهل عصره بالحديث وترك مكتبة قال عنها الشيخ مقبل رحمه الله : **المكتبة التي ليس فيها كتب الألباني مكتبة فقيرة.** وهذا الربيع وما أدراك ما الربيع حامل لواء الجرح والتعديل في هذا العصر لا ينام ليلا ولا يستريح حزنا على أبنائه وخوفا عليهم من الضياع قال العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله ورعا: كيف ترى أن تستريح أيها المؤمن الناصح ؛ وأنت ترى أهل البدع يكيدون، وأهل الفتن والفساد يكيدون لأبنائك وإخوانك في العقيدة والمنهج ؟ كيف تستريح ؟! والله ما نستريح ، والله أحيانا ما ننام حزنا على أبنائنا وخوفا عليهم من ضياع دينهم ودنياهم ، لا تظنوا أن هذه شكوى... لا والله ما نبين إلا لوجه الله تبارك وتعالى ونرى أن هذا من أوجب الواجبات وأقرب الفرائض نقوم به لله رب العالمين. [ كتاب "مرحبا يا طالب العلم" ص 30 ]

ويطل علينا الربيع مرة أخرى بمثال راق يكتب بماء العين فعندما اتصل بعض طلبة العلم في ليبيا بالشيخ لالقاء كلمة توجيهية في افتتاح أحد الدورات العلمية وسأل عن أبي الفضل محمد بن عمر الصويحي حفظه الله فقالوا له مشغول- وقد كلفه آنذاك ولي الأمر بصلح في أحد المناطق- فيعد أن ألقى الشيخ كلمته النافعة في لم الشمل والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف قال:

أؤكد هذا عليكم ، أؤكد هذا عليكم كثيراً ، وأوصيكم أن تبلغوا سلامي لأبي الفضل وتقولوا له : "الشيخ ربيع يؤكد عليك أن تشارك في هذه الدورة" بلغوه كلامي هذا ، وأن يتعد عن أسباب الفرقة ، وأن لا يعترض بالمشاغل والشغل ، فشغل الدعوة مقدمة على المال والنفس والروح ، فيجب أن يقدمها.

ونحن نفرح ونمرح بالنسخ واللصق والنقل في المنتديات ونزعم أنه من طلب العلم وحالنا كما سمنا الشيخ رسلان بمجاهدي الكيورد أي لوحة المفاتيح ولا شك أنها من الوسائل المعنية على طلب العلم لكن العلم الصافي في ثني الركب وتحمل التعب وقطع البحار ومجاورة الفيافي والقفار وتقييد المسائل وحفظها وتحريها وغير ذلك . والشأن في هذا كما قال الشيخ عبد السلام بن برجس العبد الكريم -رحمه الله: -

-قال رجل لآخر : بم أدركت العلم ؟ قال : طلبته فوجدته بعيد المراد، لا يصاد بالسهام، ولا يرى في المنام، ولا يورث عن الآباء والأعمام . فتوسلت إليه بافتراش المدر، واستناد الحجر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، ومتابعة السفر، وركوب الخطر : فوجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس ولا يغرس إلا في النفس، ولا يسقى إلا بالدرس. أرايت من يشغل نهاره بالجمع وليله بالجماع، هل يخرج من ذلك فقيهاً ؟ كلا والله. إن العلم لا يحصل إلا لمن اعتضد الدفاتر، وحمل المحابر، وقطع القفار، وواصل في الطلب الليل والنهار. ولعل في هذه المحاوراة الظريفة ما يزيل الصورة المترسبة في أذهان بعض الطلبة : من أن العلم ينال في مدة وجيزة، وفترة قصيرة، فيواصلوا جهودهم، ويحترقوا مبدولهم، في طريق العلم والتعلم، حتى يفتح الله عليهم أبواب المعرفة والعلم فيصبحوا قادة في العلم، أئمة في الهدى.

[مجموع مؤلفات وتحقيقات فضيلة الشيخ عبد السلام بن برجس، الجزء الأول، صفحة (٣٩) من عوائق طلب العلم.]

والأمثلة في هذا تطول ولولا خشية الإطالة والملل لذكرت المزيد المفيد ولكن المقصود التمثيل والتذكير لا الحصر والإحاطة والتتقير.

قال الشاعر:

**فإن رمت وصل القوم فاسلك سبيلهم:::فقد بينت للسالكين عيانا**

وكما قال الشيخ محمد بن هادي حفظه الله: من بذل نفسه في خدمة الدين تخدمه الدنيا وكذا روي عن ابن باز رحمه الله أنه قال : من نذر نفسه لخدمة الدين فإنه سيعيش متعبا لكنه سيحيا كبيرا ويموت كبيرا ويبعث كبيرا ، وقال أيضا : الحياة في سبيل الله أصعب من الموت في سبيل الله. وليس المطلوب أن يصير الانسان عالما أو طالب علم كبير لكن المطلوب أن يسير المرء على الطريق والنهج الذي رسمه علمائنا وخطه مشائخنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أوحى إلي أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريقا إلى الجنة. [صحيح الجامع 1727 ]

قال ابن الوردي:

**لا تقل قد ذهبت طلابه:::كل من سار على الدرب وصل**

هذا والله أعلم، إن كان ما قلته صوابا فمن الله وحده وإن كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم.